مزاحم . فماذا فعلتم بالعالم ؟ أأعطيتم المظلوم حقّه ، ورددتم إلى العبد حريته ، وأنصفتم الضعيف ، وآسيتم جروح البائس ؟ لا وربّي — فالمظلوم لا يزال مظلوماً ، والعبد عبداً ، والضعيف ضعيفاً ، والبائس بائساً .

« وما الفرق بينكم وبين عدوكم إلاّ أنّه كان يطمح إلى شيء تطمحون وراءه أنتم . فدعاكم إلى البراز قبل أن دعوتموه. فبارزتموه وأرديتموه فكنتم الظافرين وكانت لكم حصة الظافرين.

« وحصة الظافرين شعوب كثيرة ، وأراضٍ فسيحة ، وموانىء جميلة ، وتجارة رائجة . اقترعتم عليها وقسمتموها فيما بينكم باسم الحق والعدل والحرية . فيا لله من ألسنة تنطق بالعدل والحق والحريّة وليس محركها إلاّ الجشع والطمع وحب السلطة.

« أما كفاكم أنّكم أرسلتم ملايين الرجال إلى حتوفهم قبل الأوان حتى جئتم تسخرون بهم اليوم وهم عنكم بعيدون في عالم لا تعرفونه ؟

« أوَليس احتفالكم هذا بجنازتي سخرية ؟ لقد خدعتموني في الحياة فانخدعت . أما في الموت فلا تخدعون إلا أنفسكم .

« علامَ هذه الضجة وعلامَ هذه الجماهير ، وما شأن الملك وشأن وزراء الملك وشأن أعوان الملك من عظام جندي عاش مجهولاً ومات مجهولاً ؟ فلا خطاباتكم ولا صلواتكم ولا احتفالاتكم تردّني إلى الحياة .